تمثيلات الآخر في الفن والادب

د. مازن المعموري

لا يمكن الحديث عن ذواتنا الا في حدود مكوناتنا الثقافية التي أنتجت تلك الصور التمثيلية، والتمثيل هنا، في مجمل مقاياساته الاجرائية يوحي فلسفيا في إطار علم العلامات، هو الإنابة عن الأشياء ، اي ان تحيل على واقع غير لغوي ، ومن هذا المنطلق عدت الكلمات علامات تمثل أشياء العالم[1]، فالسرد يحمل ممثولات الواقع ويدل عليه دون ان يقلده، وفي ذات الوقت يساهم في بث الصور التي تعيد انتاج منظومة القول الى مفاهيم ومدركات، انطلاقا من الذات وبها ، لا يكون في هذا الاقتران بين التمثيل والواقع الا كناية عن الانا والاخر ، الذات التي تعمل على تمثيل الأشياء بصفتها نقطة انطلاق – نحو – المحيط الذي يأخذ دور الاخر بكل تفاصيله سواء كان يعني المجموع (الناس) او الفرد او الجهة المقابلة للذات .

في ضوء هذا التصور يمكن تلمس محطات السرود التي ساهمت في مد اجنحة التمثيل بين الشرق والغرب، بحيث اصبح لدينا "ثقافات" * مع الجهات والكتل التي تقف في الضد لتؤشر مظاهر التبدل الثقافي بينهما ، بمعنى الحصول على هويات جديدة بسبب النزاع الحاصل بين الثقافات ، وهو ما نراه في تحريفات اللغة واستعاراتها المستخدمة وظهور مفردات بين اللغات المستعمِرة والمستعمَرة ، كما يمكن النظر الى تبدلات فهم الاخر واعادة قراءة الراسب الثقافوي نحو الجهات

---

[1]- محمد القاضي واخرون : معجم السرديات , ط1, دار محمد علي يونس واخرون , تونس , 2010, ص112

*- تدل كلمة تثاقف على الاواليات المعقدة للاحتكاك الثقافي التي تتعرض نتيجة لها مجتمعات او مجموعات اجتماعية الى ان تتمثل او ان يفرض عليها تمثل بعض او كمية من الملامح القادمة من مجتمعات اخرى . وينتمي هذا المصطلح الى قاموس المدرسة المسماة "ثقافوية" وبشكل اشمل الى الفكر الاثنولوجي لستينات القرن العشرين ... للمزيد انظر/ بيار بونت , ميشال ايزار: معجم الاثنولوجيا والانثربولوجيا , ت: مصباح الصمد , ط1, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع " مجد" بيروت , 2006, ص350

الأخر ، في سياق ما يتبدى من سرديات تشكل خطاب الذات المهيمنة وفق آليات المعرفة الحديثة ، لتضفي صفات شرقية على الشرقي كما تصوغ مقاصد الهيمنة والاستيلاء والامتلاك للاخر [1].

ان هذا التخصيص يجرنا للنظر الى السرديات الكبرى لمعرفة مكوناتنا الاساسية للتعبير عن صورة الاخر لدى كل من القوميات او الاثنيات الدينية في التعامل مع المختلف بصفته العدو الذي لا يمكن التسامح معه في ضوء تبديات المقولات والأحكام الالهية كالآتي :

الموقف اليهودي من الاخر :

العقدة الاكثر بروزا في الديانة اليهودية ـ كمجتمع يتبنى ديانة مغلقة ـ هي فكرة الكراهة الحادة لليهود تاريخيا من قبل المجتمعات التي يعيشون فيها ، ولا سيما اوربا ، حيث ظهرت موجة من الكراهة لليهود اواخر القرن التاسع عشر الميلادي تروم اثبات ضررهم وانعدام نفعهم ، حتى وصل هذا التيار ذروته في الفكر النازي الذي هاجم اليهود للاضرار التي باتوا يلحقونها بالمجتمع الالماني [2]، وهو ما يجعلنا نسير باتجاه تحليل النصوص المؤسسة للاخرية .

يعد (الاختيار) المبدأ الاكثر قدسية وتداولا في التوراة ، حيث جاء في سفر التثنية (اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعبا اخص من جميع الشعوب الذين على وجه الارض)[3]، لذا نجد ان مصطلح (Gentiles) وهو كلمة من اصل لا تيني (gens) (gentilis) وضعت للاشارة الى غير اليهود بصفة عامة ،

---

[1]- عطوان , محمد : الية التمثيل الكولنيالي للشرق , مجلة الكوفة , عدد 4, دار التنوير للطباعة والنشر , جامعة الكوفة , العراق , 2013و ص178

[2]. د. العلواني , رقية واخرين : مفهوم الاخر في اليهودية والمسيحية , ط1, دار الفكر للطباعة والنشر, دمشق , سوريا , 2008, ص41

[3]. العهد القديم , ط2, دار الكتاب المقدس , القاهرة , 2005, ص217

ويتضمن المصطلح مفهوما يشير الى نظرة دونية واحتقار لغير اليهود [1*] ، الا ان وجود تسمية ذات بعد ايديلوجي وعقائدي تشكل صورة الاخر الغيري في الذهنية الاجتماعية تساهم في تاسيس ظاهرة الرفض للاخر* ايا كانت ملامحه في الواقع المعيش عبر التاريخ السياسي الذي نال من اليهود ذلا ومهانة وهو ما جاء في كتاب بروتوكولات صهيون [2] كالاتي :

القضاة او مدد الاستراحة

المتسلط	عدد السنين	المخلص	عدد السنين
ملوك العراق	٨	عثنئيل بن يهوذا	٤٠
المؤآبيون، العمونيون، العمالقة	حلفاء ١٨	اهود البنيامينى	٨٠
		شمجر، دبورة، باراق	٤٠
الفلسطينيون، الكنعانيون	حلفاء ٢٠	جدعون	٤٠
		ابيمالك	٣
المديانيون، العمالقة	حلفاء ٧	تولع	٢٣
		ياثير الجلعادى	٢٢
العمونيون	١٨	يفتاح البيتلحمى	٦
الفلسطينيون	٤٠	ابصان البيتلحمى	٧
	١١١	ايلون الزبلونى	١٠
		عبدون الفرعتونى	٨
		شمشون	٢٠
			٢٩٩

---

*. تشير هذه الكلمة الى الاقوام الوثنية المحيطة ببني اسرائيل في البدايات الاولى لنشوء الديانة , فيما تؤكد الموسوعة اليهودية على انها لا تشمل المسيحيين والمسلمين .. انظر [1]. د. العلواني , رقية واخرون : مفهوم الاخر في اليهودية والمسيحية , مصدر سابق , ص46

*. يشير المؤرخ المعروف كمال صليبي في حوار معه اجراه صقر ابو فخر في مجلة " **الاخر** " " ان كلمة **غوييم** التي تعني الغرباء (الاغيار) الغوييم هم الناس الذين ليسوا من بني اسرائيل . وهذا لا يعني انهم ليسوا يهودا . الان . اليهود يظنون وهو ظن خاطيء . انه عندما نزلت التوراة فرقت بين اليهود وغير اليهود . وهذا غلط , فالتوراة فرقت بين بني اسرائيل وغير بني اسرائيل . بين العبريين وغير العبريين . العرب عبريون بحسب التوراة . يعني اننا عن طريق سام نحن جميعا من سلالة عابر بن سام . ثم جاء ابراهيم وله اسماعيل واسحق . فكل من ليس من اسحق هو عربي . ثم ان المرأة التي تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة اسمها قطورة , وجميع ابناء **قطورة**أي كتورة عرب .... للمزيد انظر / مجلة الاخر , العدد الثاني , دار الساقي / دار التكوين , بيروت , 2011 , ص270

[2]. فكتور مارسدن : بروتوكولات حكماء صهيون , الحرية للطباعة والنشر , القاهرة , 2003, ص270

يتيح لنا هذا الجدول رؤية الصراع التاريخي ضد اليهود من قبل الشعوب المجاورة بصفتهم مختلفين ، واستمر هذا الواقع المهين حتى في العصور المتقدمة ، فكان لتاثير الحوادث الكثيرة في أوروبا أثناء العصور الوسطى، والتي تكشف على نحو قاسٍ بعض المشكلات التي واجهها اليهود كفئة هامشية معرضة لنزوات التعصُّب والاضطهاد. خلال القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر عاشت الجاليات اليهودية ضمن المجتمع المسيحي، وكان مفهومًا كونها خارجة عن المعتقد المسيحي، فكان أعضاؤها يُنظر إليهم باعتبارهم شهداء على الحقيقة المسيحية، والذين سيشير تحولهم النهائي إلى المسيحية إلى قرب المجيء الثاني للمسيح. لكن كان يُنظر إليهم إجمالًا على أنهم قتلة المسيح وغالبًا ما يعتبرون خطرًا على الأفراد المسيحيين. وعلاوة على ذلك، في هذا العصر ارتبط تعريف سمات الإنسان الحق ارتباطًا وثيقًا بالمعتقد المسيحي وممارسته، وبالتالي شكل طريقة النظر إلى اليهود وأسلوب معاملتهم، وهكذا ظهرت المقارنات بين المسيحي الذي يتحلّىبالحصافة واليهودي غير العقلاني، بل الهمجي، الذي يدفعه عناده إلى رفض التسليم بالحقيقة البينة في الكتاب المقدس، فاليهود — كما يقول المسيحيون — يتمسكون دون تبصر بشرائعهم وطقوسهم رغم كونها انحرافات اخترعها أحبارهم ويحتمل كونها شيطانية[1]، ولنا في شواهد التاريخ التي ترد في الكثير من المصادر الغربية والعربية

---

[1]- ادرج الباحث نص التقرير الوارد في مجلة (;Historytoday) المجلد ٦٣، العدد ٨، الصفحات ٣١–٣٨/ أغسطس ٢٠١٣

يسلط اضطهاد وإعدام اليهود خلال القرن الخامس عشر في إيطاليا الضوءَ على المواقف الغامضة لمثقفي عصر النهضة حيال الشعب اليهودي، ومعتقداته، وعلاقته التاريخية مع اللاهوت المسيحي، كما يوضح ستيفن باود .

في أحد الفصح الموافق ٢٦ مارس عام ١٤٧٥ عُثر على جثة طفل صغير يدعى سايمون طافية في مصرف بمدينة ترينتو (التي تقع حاليًا في إيطاليا). كان سايمون مفقودًا منذ عدة أيام وانتشرت شائعات تُورِّط الجاليةَ اليهودية المحلية في واقعة اختفائه. وعليه فتش قاضي التحقيق الرئيسي جيوفاني دي ساليس منزل صامويل رئيس الجالية اليهودية الصغيرة. وفي المجرى المائي القذر المارِّ بقبو منزله عثروا أخيرًا على جثة الطفل المشوهة. وعلى الفور اعتُقل ستة يهود بسبب ملاحظة أن الجثة نزفت في حضورهم وهي علامة أكيدة على كونهم مذنبين، وفقًا لتقاليد ذلك العصر. فحص طبيبان تابعان للأمير-الأسقف المحلي الجثةَ في المستشفى التابعة لكنيسة سانت بيتر، وصرح أحدهما — الذي سرعان ما أرسل تقريرًا عن القضية إلى مسقط

عن علاقة اليهود بالمجتمعات الاخرى ومدى الخلل الحاصل في رؤية الاخر سياسيا ودينيا بين كلا الطرفين دون استثناء ، فالديانة اليهودية لم تخترق كثيراً نظام الفهم الإنساني لمستويات العلاقة مع الآخر / الغير، إلا من حيث جعل الفقراء العبيد هم أيضاً رموزاً في مملكة الرب، وأن لم يكونوا أحراراً في اختيار مستوى إنسانيتهم وتقرير مصيرهم، ولتجعل النظام الاجتماعي بطرياركياً (أبوياً) بشكل مقدس، يخضع له الراعي / السيد بشكل قليل وبمقدار ما يحفظ لمملكة الرب صونها من الآخر / الغير العدو، ويخضع له الرعية بخضوعهم للراعي / السيد الذي يحفظ مملكة الرب ، وفيما يخص الواقع التاريخي مع الاسلام فقد حافظت الديانة اليهودية على صفتها الخاصة كـ " جماعة دينية " رغم تغيرات العالم السياسية وتوغل الجيوش الاسلامية في كل اقطار العالم من المشرق الى الاندلس مقابل الجزية مع الاحتفاظ بالخواص الطقسية والروحية والسلامة الشخصية [1]، وربما كان احد عوامل استمرار الديانة اليهودية هو الايمان بالعزل باعتبارها ديانة خاصة باليهود فهي ديانة لا تبشيرية كما هو الحال مع المسيحية والاسلام .

نزعة التفضيل الالهي اليهودي:

رأسه بمدينة بريشا عبر الحدود داخل إمبراطورية فينيسيا — أن الصبي لقيَ مصرعه منذ جمعة الآلام وأن غياب الماء عن جثته يدل على كونه لم يمت غريقًا. ومما زاد موقف اليهود سوءًا تطوع شاهد بتقديم تقرير يفيد بسماعه صراخ سايمون صادرًا من منزل صامويل، بينما ادَّعت شاهدة أخرى أنه عُثر على ابنها مجروحًا في سقيفة صامويل منذ ١٤ عامًا, ومع تواصل الاستجواب تحت تأثير التعذيب في قلعة الأمير-الأسقف، ساعد قاضي التحقيق في توجيه السجناء نحو اعترافات بارتكاب جريمة القتل الشعائري للطفل؛ بهدف الحصول على دم مسيحي لاستخدامه في طقوس عيد الفصح اليهودي. ففي سلسلة من جلسات التحقيق المكثفة علَّق القاضي الرجال المتهمين بحبال تتدلَّى من السقف، وهددهم مرارًا وتكرارًا بخلع أطرافهم. وبهذه الطريقة استخلص تفاصيل ساعات سايمون الأخيرة؛ أي اللعنات والإيماءات الشعائرية اليهودية التي صاحبت تعذيب الطفل بالإبر والكلاليب، وأخيرًا تجميع الدماء واستخدامها. من قتل يقتل؛ وبناءً على هذا أُعدم صامويل في ٢١ يونيو بتمزيق لحم جسده بكلاليب ساخنة ثم حرقه خارج جدران المدينة. لقي يهوديان آخران نفس المصير وتحوَّل اثنان آخران إلى المسيحية، وعليه ضُرب عنقهما قبل حرقهما، بينما انتحر أحد اليهود المتهمين. أما الجالية اليهودية في ترينتو فقد دُمرت أو شُتِّتَت، وأصبحت «تهمة الدم» من جديد مصدرًا للأخبار المثيرة في جميع أنحاء أوروبا.

[1]- Jacob Neusner, the blackwell companion to Judaism, blackwell publishing, Australia, 2000, p131

ساهم احبار اليهود وعلمائهم في ترسيخ العنصرية الدينية ضد الاخر الاسلامي بشكل خاص والشعوب الاخرى بشكل عام ، حيث يرجع هذا المفهوم الى كتاب التلمود الذي يعد الشرع الشفهي ، ويفضل التلمود على التوراة ، اذ يعتقدون ان التلمود مقدس ويتكون من جزأين هما : المشناه / الجماره [1]، وقد اشتمل التلمود على نظرة متعالية على كل الشعوب (ان جميع خيرات الارض ملك لبني اسرائيل وان النصارى والمسلمين وعبدة الاوثان خلقوا عبيدا لهم ، وهم منحدرون من الله كما ينحدر الابن من ابيه ، وشعوب الارض مشتقة من الارواح النجسة ولم يعطوا الصورة الانسانية الا اكراما لابناء اسرائيل)[2]، لذا فهم يعتقدون بان الاعتداء على الاخرين من غير اليهود او سرقتهم وقتلهم لا يعرضهم للعقاب الالهي .

في محاولة للفحص وجد الباحث ان العهد القديم لم يكن هناك من يؤمن به من غير اليهود ، لانهم كانوا يعتبرون العهد القديم كتاب التاريخ والسياسة والقومية والعصبية العنصرية والعقيدة والشريعة والتنظيم الاجتماعي ، ولما ظهرت المسيحية اعتبرته كتابا لها واصبح الاخرين يؤمنون بالعهد القديم ويختلفون في تفسيره ، كما سمح المسيح (عليه السلام) بترجمته ، مما حفز لدى اليهود الشعور باستباحة كتابهم ، فعملوا على انتاج كتاب شفوي اخر اسمه المشناه * ، والحقيقة فان اشكالية (المنفى) هي جوهر الهوية الفكرية التي يعاني منها الانسان والمجتمع اليهودي ، وربما استطيع القول ان ظاهرة المنفى هي مفتاح فهمنا للصراعات الكبرى التي تورط فيها اليهود عبر التاريخ ، وبالخصوص في الفترة الانية منذ القرن العشرين تحديدا

---

[1]- اسرائيل شاحاك : الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود , ت: يوسف نصر الله , ط1 , سينا للنشر والطباعة , القاهرة , 1994, ص63

[2]يوسف , يوسف : الاغيار في الثقافة اليهودية , ط1, دار القلم للطباعة والنشر , دمشق , 2000, ص38-39

*- المشناه : هي مجموعة الاحكام الفقهية المستمدة من العهد القديم ومن اقوال المفسرين له , التي اخذها الخلف عن السلف عن طريق الرواية الشفوية , ويعتبرها اليهود مصدرا من مصادر التشريع , وياتي في المقام الثاني بعد التوراة , ويرى البعض انها ترتفع الى موسى عليه السلام , ولانها كانت مجموعة من الشرائع المروية فهم يسمونها " التوراة الشفوية " ..انظر / مصطفى كمال عبد العليم : اليهود في العالم القديم , ط1, دار القلم للطباعة والنشر, دمشق , 1995, ص17

وحتى الان ، حيث يعتبرون ان الحصول على دولة قومية (ارض الميعاد) تعد احد اهم الاهداف الستراتيجية للميثولوجيا اليهودية ، بصفتها حلا للشتات الذي يعيشه اليهود في العالم ، رغم ان هناك بعض الاراء التي تؤكد خيار الشتات كارادة تخص المجتمع اليهودي[1] ، بل ان قوة المجتمع اليهودي تكمن في الشتات بصفته كينونة ضرورية في الوجود .

لقد عمل اليهود على تبرير الشتات والتكيف معه ، طيلة قرون طويلة وكانه ارادة الاهية لا يمكن الخلاص من تبعاتها التي وجهت الكثير من السياسات الدولية بالضد منها ، مثل ما حصل مع هتلر ، كما ان الشتات اصبح منطلقا للتفكير التفكيكي لدى دريدا في مجال الفلسفة المعاصرة ، وقد ظهرت العديد من التوجهات لدى شخصيات يهودية بارزة مثل شولم، ومارتن بوبر الذي كان بمثابة الاب الروحي للكثير من المفكرين في الغرب ، واصبح منذ هجرته الى فلسطين منذ 1992 مع اعضاء حلقة براغ مثل هانز كوهن وهوغو بيرغمان من اكثر المدافعين عن ثنائية القومية في فلسطين [2].

لقد كانت محاولة الحصول على عود ابدي لليهود تستدعي استبدال للمواقع ، فوجود اليهود في فلسطين يعني بالضرورة شتات المجتمع الفلسطيني وهو ما حصل فعلا منذ عام 1948 وحتى الان ، حيث يمكن ان نرى بوضوح عمليات الازاحة والتشتيت في كل بقاع الارض ، وامتد هذا الاثر الى باقي الدول العربية المجاورة مثل العراق ولبنان وسورية على حد سواء وبنسب متفاوتة جعلت من المنطقة تعيش على نار مستعرة تتجاذبها النعرات العنصرية والدينية والقتال المستدام وتحويل المجتمع الى جماعات صغيرة واثنيات متعارضة حد الابادة .

الموقف المسيحي من الاخر:

---

[1]- فون باجوت, جلوب : اليهود واليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وابدية الشتات , ت: رشاد الشامي , ط1, المكتب المصري لتوزيع المطبوعات , القاهرة , 2001, ص32

[2]- امنون راز كراكتسين : المنفى وثنائية القومية , مجلة الكرمل , عدد 3-4, ربيع – صيف, 2013, ص78

في المسيحية يتسع المعتقد ويشمل كل البشر من بني الانسان وتغدو النظرة مختلفة تماما ، حيث يصبح الاخر هو المقياس ، لذا نجد المسيح يضرب مثلا بالسامري الصالح [1]، حين سأله احد المشرعين (ناموسي) : من هو قريبي ؟ فاجاب المسيح بحادثة شخص تعرض له لصّان وابرحاه ضربا ثم وجده سامري في الطريق فساعده واعتنى به واسكنه فندقا وصرف عليه ، وهو ما جعله يتسائل من هو القريب برايك من هؤلاء الثلاثة ؟ فرد الرجل : (الذي صنع معه الرحمة) فالقريب لم يعد مرتبطا بدم القرابة او العائلة ذات النسق الخارجي لبنية النظام الاجتماعي بل اصبحت رؤية داخلية للعالم والحياة ، ومنها يمكن تحديد هوية القريب التي لا تعني الاخر الخارجي بقدر ما يصبح موقف الذات من الاخر [2].

ان ما يفضي به الموقف من سوء فهم الذات تجاه الاخر يؤدي بنا الى نزوع عدواني ، وهو ما شكل ظاهرة اللصوص تجاه الانسان بصيغته المجردة ، في حين وجد السامري تلك الصلة الاتيقية بين شخصين لا يعرفان بعضهما ، ومن اجل ازالة التخوف من الاخر كان لزاما ان تكون العلاقة بين ذات البين علاقة تناظر وتقابل ، اي يكون كل واحد في خدمة الاخرعلى حد تعبير ليفيناس ، وليس علاقة تنازع او تطابق لان التنازع بل وحتى التطابق يؤدي الى انتفاء احد الطرفين والقضاء على العلاقة بينهما [3] ، لسبب جوهري يكمن في مفهمة (الاخر) التي تفترض انفصال الذوات ، وكل ذات هي في حقيقتها غريبة عن الاخرى ، ويتم الاتصال عبر الشعور بذاته ، اي لحظة الانوجاد في (الان) امام ذات تملك نفس الشعور باللأنية والانفصال عن الاخرى .

---

[1]. انجيل لوقا / الكتاب المقدس/ العهد الجديد / مثل الشامري الصالح : ط6, دار الكتاب المقدس , القاهرة , 2005, ص93

[2]. العلواني , رقية , واخرون : مفهوم الاخر في اليهودية والمسيحية , مصدر سابق , ص86

[3]. الخويلدي , زهير: معان فلسفية , ط1, دار الفرقد للطباعة والنشر, دمشق , 2009 , ص27

يطرح السيد المسيح البعد الفكري الذي يعد المحبة جوهر الايمان المسيحي ، والبعد الاخر يكمن في فعل المحبة تجاه الله اولا وتجاه القريب / الاخر ، اذ انه من غير المنطقي ان يزعم احد ما انه يحب الله بغير ان يتجسد ذلك عمليا في ضوء ممارسات حية وملموسة تجاه الاخرين[1]، لذا وجب الغاء الفوارق والعداوات من اجل النظر الى الجوهر المطلق للانسان الذي يتعالى في صورة الله ذاته كما جاء في الكتاب المقدس على لسان الخالق (نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا) ورغم ذلك نجد الاعتقاد المسيحي يؤمن بغيرية الله ، وكأن الوجود البشري قائم على اساس الصراع مع الله [2]، فالانسان لم يقبل غيرية الله الجذرية بعد ان امتلك المعرفة بصورتها الرمزية (تفاحة المعرفة) وكانت اولى تمثلات هذا الخلل الوجودي في نظام الخليقة هو ظهور الحياء وفقدان البساطة والشفافية بين الانسان والانسان [3]ورفض الاخر لدرجة التنافر والصراع وصولا الى قتل قابيل لاخيه هابيل كما جاء ذلك في قصة الخليقة " وكلم قايين هابيل اخاه ، وحدث اذ كانا في الحقل ان قايين قام على هابيل اخيه وقتله . فقال الرب لقايين : اين هابيل اخوك ؟ فقال : لا اعلم أحارس انا لاخي ؟ فقال : ماذا فعلت ؟ صوت اخيك صارخ اليّ من الارض ..." [4] .

الموقف القراني من الاخر :

ان الاختلاف اللغوي الذي تحمله كلمة الاخر في اللغة العربية عن اللغات الاوربية انما هو اختلاف ثقافي ، اذ ان كلمة الاخر في اللغة العربية لا تتجاوز الصفات الخارجية للموضوع ، اي انها تخص الاعداد مثلا دون تمييز في الطبقة او المستوى ، كما هو الحال لدى المفهوم الغربي الذي يحيل الى جوهر وجودي بمعنى " الغيرية

---

[1]. العلواني , رقية واخرون : مفهوم الاخر في اليهودية والمسيحية , مصدر سابق , ص134

[2]. ابراهيم , زكريا : مشكلة الانسان , مكتبة مصر , ب. ت, ص171

[3]. العلواني , رقية واخرون : مفهوم الاخر في اليهودية والمسيحية , مصدر سابق , ص83

[4]. الكتاب المقدس / التكوين , دار الكتاب المقدس و مصر , 2005, ص4

" [1]، لذا نجد القران الكريم يؤكد في خطابه "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصبئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (البقرة 62) ، والحقيقة فان خطورة القول القراني مرتبطة بتحولات سياسية على ارض الواقع في تلك الفترة المبكرة من تاسيس الرسالة الاسلامية ، حيث اشار القران الى قرب النصارى من المسلمين في بداية الدعوة كما جاء في القران "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا: اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون" (المائدة 82) وهنا نجد تفصيلا لاسباب القرب من المسلمين في ضوء الاشارة الى وجود قسيسين ورهبان يؤمنون بالله واليوم الاخر ، لكن المعطى الاخر للموضوع يدرجه المفكر محمد عابد الجابري ضمن ما اسماه الاطار الايديلوجي ، حيث تمت الاشارة الى الغرب بصفتهم " بلاد الروم " وهم من النصارى بشكل عام دون تفصيل ، وقد انتصر الله لهم في كتابه العزيز بقوله "الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين. لله الأمر من قبل ومن بعد. ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (الروم 1-6)[2] .

لقد تناول القران الكريم كلمة اخرى دالة على " الاخر " وهي كلمة " الناس " التي تعني الجنس البشري بشكل عام ، بحيث انها لا تقبل التجزئة والتثنية، وليس لها كلمة تقابلها، والمراد منها الإشارة إلى العموم والاستغراق دائماً، أي الناس كافة دون أي وصف زائد أو إضافة أو تمايز ، بمعنى أن كلمة (الناس) هي الكلمة الوحيدة التي تستغرق عموم البشر، فلا مجال فيها لشيء اسمه الآخر، أو للحديث عنه

---

[1]. الجابري , محمد عابد : درجات "الآخر" في القرآن الكريم , مجلة فكر ونقد , عدد 1, المغرب , 1997,

[2]. الجابري , محمد عابد : درجات "الآخر" في القرآن الكريم , مجلة فكر ونقد , المصدر نفسه

، ويتأكد هذا الموقف الاخلاقي في مقولة الامام علي ، فيما اوصى به الاشتر النخعي حين ولاه على مصر يصف فيها الناس قائلا " فانهم صنفان ، اما اخ لك في الدين ، واما نظير لك في الخلق " [1]، لذا نجد أن رابطة الاشتراك في الدين، لا تلغي رابطة الاشتراك في الخلق، بل إن رابطة الاشتراك في الدين هي التي تفتح وعي الإنسان على رابطة الاشتراك في الخلق، وتجعل منها منظوراً له في رؤية الناس والعالم ، وبالتالي فإن هذه المقولة ليست بصدد الإشارة إلى مفهوم الآخر، وإنما جاءت لكي ترتفع بوعي الإنسان بعيداً عن مفهوم الآخر بالمعنى الذي يشير الى التغاير والصراع في الغالب الاعم .

اشير هنا ، الى نمو فضاء عام لخلق وتجسيد اخرية بنتها السرديات الغربية ، في الوقت الذي كان مفهوم العالم يعني اوربا تحديدا، اوربا التي تقدمت حضاريا ومدنيا بسرعة خارقة، لدرجة انها تضخمت ليصبح اسم العالم او العالمية صناعة اوربية تنتمي لها كل المنجزات البشرية الحديثة وتضم تحت خيمتها التاريخ والجغرافيا والتقانة والحدث والثقافة التي اسهمت في بناء جدار بين الشرق والغرب ، ومارست سلطة العزل ، فبقي الشرق على حافة العالم الاوربي دون ان يشترك في ادامة التواصل الحضاري في ضوء تداعيات الاستعمار وما بعده، والانشغال بالتبعية واجترار ما تبقى من اوراق الماضي التي هيمنت على انبثاقها مرة اخرى تيارات العصبية القبلية بعد ان انساب تيار الحداثة في الحياة ومن ثم فشله في ترتيب التوازنات الاقتصادية والاجتماعية لدى شعوب العالم الثالث المتخلف ، وعليه سيكون متابعة التمثلات اجراء لاكتشاف الذات والاخر معا في سرديات الفن التي تخضبت بها تلك العلاقة العتيقة لصورة الانسان بصيغته المطلقة .

فكرة (الاوربية)

[1]. ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة , ط2, مجلد 9, ج 17, مؤسسة الصفاء للمطبوعات , بيروت , 2012, ص24

استقطبت فكرة الاوربية ، اهتمام المجتمعات القاطنة في القارة الاوربية في القرن السابع عشر، بنية ان تكون ثقافة مميزة، وذلك في حقبة تمخضت عن ثورات علمية وسياسية وتكنولوجية وجغرافية ، لدرجة ان الاختلافات العميقة بينها دينيا وثقافيا ، اصبحت الخلفية لعمليات اكتساب ثقافة كوزموبوليتانية، وان جاءت بعد جهد جهيد حسب تعبير بيتر كارافيتا [1]، فقد اكتسحت الثورة الصناعية وافكار التحديث روح المجتمع الاوربي وامتد اثر النزعة الحداثية ليلهب المشاعر العابرة للحدود، بمعنى ان هناك نزوع للتشارك بين الاوربيين رغم الاختلافات السياسية والثقافية القومية ، حيث وجهت هذه النزعة لاكتشاف الذات البحث عن صورتها الغربية تجاه صورة الشعوب التي تقطن اسيا الشرقية وافريقيا .

لقد تبنت اوربا خلال القرن السادس عشر وعيا بنفسها في اعقاب الاكتشافات الكبرى، وذلك امام التهديد الجديد للدولة العثمانية وامام الانكسار الذي سببه الاصلاح البروتستانتي تتلخص في اربع محاور اساسية هي :

1ـ الاتجاه الفردي الانجيلي او الروماني .

2ـ فكرة الامة .

3ـ الراسمالية .

4ـ الديمقراطية [2].

يعد المؤرخ مارك بلوخ الذي قتل على يد النازيين عام 1944 لتورطه بالتعاون مع الفرنسيين ، من اوائل المعارضين لمشروع اوربا موحدة في ظل هيمنة توسع الرايخ الالماني على امتداد القارة كلها [3]، اذ يعتقد بلوخ ان فكرة اوربا كانت من نتاج العصور الوسطى التي هيمنت عليها اللغة اللاتينية والكتلة الجرمانية ، تلك المرحلة

---

[1]- فرانك , سينوبولي : الادب الاوربي من منظور الاخر , ت: مجدي يوسف واخرين , ط1, المشروع القومي للترجمة , المجلس الاعلى للثقافة , القاهرة , 2007 , ص29

[2]- فرانك , سينوبولي : الادب الاوربي من منظور الاخر ,مصدر سابق, ص30

[3]- Ross,Balazaretti: the creation of Europe, oxford university press, 1992, p183

التي درسها الفلاسفة جنبا إلى جنب مع سارتر، ليفي شتراوس، لاكان،فوكو، دريدا، على وجه الخصوص أوجه التشابه التي رسمها الفلاسفة بين اللغة والمجتمع ، كما يمكن ان تتنامى تبعات ذلك التاثير الى العناية بالتحقق الشخصي للغة ، ممتدا الى ما يشكل الوسيلة المعرفية للقول بأن خطاب الجمع مسموع او انه هامس يلقي تبعات سلطته على المجموع والكتل الاجتماعية ، وعلى النقيض من ذلك، تبدو الموضوعات ذات الصلة في مجال الهياكل الاقتصادية والثقافية والسياسية أو العسكرية وهي الدول والطبقات والطوائف والجماعات هي التي مارست قدرتها على إحداث تحولات عميقة في تلك الهياكل.

يبدو ان فكرة اوربا لم تكن متاحة للتداول في ذلك الوقت حتى بعد ان تم الاتصال مع الاسلام والمناطق المحاذية للمتوسط ، بل ان الحدود ايضا لم تكن مكتشفة بشكل واضح ، رغم ذلك فان استخدام اوربا جاء ليؤكد الاختزال الذي انتجته فعالية القوة والمعرفة الغربية في التمدد نحو الاخر[1]، ضمن رقعة تبدأ من البحر الابيض المتوسط وتمتد شمالا تحت طائل الاقتراض الثقافي المتبادل من الجرمانية وسلتيك الاسكندي واليوناني الروماني دون الاكتراث بشرق اوربا حتى نهايات روسيا المتجمدة ، ولا يخفى اثر " انسلم وتوما الاكويني " في بذل كل الجهد ليمكنا المسيحية من تمثل الفلسفة الاغريقية ، وليبذرا في تربة اوربا البربرية بذور العقلانية وفق منهج عقلاني تجريبي [2]، ساهم في بلورة الخطاب الحداثي لعصر التنوير، اذ بدأت اوربا تؤسس القواعد البنيوية لمشروع اقتصادي واجتماعي ذي نزوع كوني [3]، يتخذ من الانسان الاوربي مرتكز

---

[1]– Ross,Balazaretti: the creation of Europe, , p187

[2]- رونالد سترونبيرج : تاريخ الفكر الاوربي الحديث , ت: احمد الشيباني , ط3, دار القاريء العربي , القاهرة , 1994, ص19

[3]- افايه, محمد نور الدين : المتخيل والتواصل , ط1, دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع , بيروت , 1993, ص104

نهوضها وانتشارها في العالم كله والمتوسط تحديدا تجاه مفهوم الهوية الاوربية ، فالغرب هو من يسمي الحضارات والمجتمعات والتاريخ ، وبذلك فان الشرق لا قيمة له خارج ما يمنحه له الغرب [1]،وربما يعود السبب للخصوصية العرقية التي تقف وراء هذه الممارسة الاقصائية[2]، بحيث تم الاعلان عن ولادة غرب نقي يمثل نهاية الحضارات في التاريخ البشري .

تمثيلات الاخر في الادب الغربي :

لم تكن فكرة ان يكون هناك ادب اوربي او فن اوربي بصفته صورة للذات الغربية موجودة قبل تصاعد التيار القومي في اوربا ، الا في حدود الخلافات حول الحقب والعصور الادبية، كما ساهمت الحروب الحديثة ببناء التوصيف الاستعماري لـ (اوربي) كقطب احادي مهيمن في اعقاب الحرب العالمية الثانية في الغرب ، واستقبل كل من كتاب " محاكاة " لـ " اريخ اورباخ " 1946 و" الادب الاوربي والعصور الوسطى اللاتينية " لـ ارنست روبرت كورتيوس 1948 و" نظرية الادب" لـ رينيه فيلك بالاشتراك مع اوستن وارين 1949[3]، بوافر من الاهتمام لتبدأ الماكنة الاوربية بتقعيد المركزية الادبية والخطاب الكولنيالي عبر تخييلات ذات ابعاد ثقافية ، حيث ترتبط متخيلات الافراد ذاتها بالانماط التخييلية التي تتميز بها الانساق الثقافية التي تحكم سلوكياتهم وتنتظم عملياتهم النفسية والاجتماعية ، فالافراد يستخدمون المتخيل لتوصيف التوسطات التي تقوم بها الصور في مرآة الجماعات، فترسم لهم صورة عن هوياتهم الثقافية [4]، وهو ما وجدناه واضحا في المرحلة الكولنيالية التي قدمت الغرب الامبريالي كقوة تستعبد الشعوب المتخلفة بصفتها شعوبا غير مؤهلة لقيادة نفسها .

---

[1]- افايه, محمد نور الدين : المتخيل والتواصل , مصدر سابق , ص109

[2] -ابراهيم, عبد الله : المركزية الغربية , ط2, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, 2003, ص283

[3]- فرانك , سينوبولي : الادب الاوربي من منظور الاخر ,مصدر سابق, ص97

[4]- محمد , عطوان : الية التمثيل الكولنيالي للشرق , مجلة الكوفة , عدد4, التنوير للطباعة والنشر والتوزيع , جامعة الكوفة / العراق, 2013 , ص180

تعد رواية قلب الظلام للكاتب جوزيف كونراد من اشهر الاعمال الروائية التي تناولت استعمار افريقيا ، قريبا من نهر الكونغو الذي ينبع من جنوب شرق الكونغو، وهذا النهر يعد ثاني أطول نهر في أفريقيا بعد نهر النيل، وأولها من حيث مساحة الحوض، كما أنه يعد ثاني أكثر الأنهار تدفقا وغزارة في العالم بعد نهر الأمازون، لذا نرى الراوي وقد افضى بتصوراته عن الشعوب التي يراها في قلب الظلام الافريقي وسط احراش وادغال الغابات الكثيفة ، وهي تمارس طقوسها اليومية ويصفهم بانهم اكلي لحوم البشر " كنت استعين بطاقمي من اكلة لحوم البشر .. انهم اناس طيبون أكلة لحوم البشر هؤلاء " [1]، فالرواية منذ الاطلالة الاولى تكشف عن اخريتها حين تصف القارة السوداء بالمظلمة واناس عبيد وغريبي الاطوار تحتدم فيها صراعات الشركات الاحتكارية لكسب اكبر حجم من خيرات افريقيا وفي مقدمتها العاج، انها حصيلة تجربة عاشها المؤلف كبحار ، وأيضاً من التجارب التي تعلَّمها من الزعم في أنَّ العلاقة البعيدة بين البشر تمتد رغم انقطاعها وهو يشير في معرض الحديث " كنت افكر في ازمنة قديمة جدا حين كان الرومان ياتون هنا .. منذ 1900 سنة .. " [2]ويقصد لندن ، وتدفق نهر التايمز حاملا كل تلك السفن ليل نهار الى عالم غامض من اجل نشر التعاليم المسيحية، وفي المرحلة التي وصل فيها كونراد الى الكونغو وجد ان العمل الصالح المنجز باسم المسيحيَّة والتقدُّم، قد تمَّ نسيانه أو تناسيه وسط تزاحم المكتنزين الأوربيين، وقد أفرز هذا التصارع المذموم، وذاك التسابق المحموم حول الثروة والمال في الكونغو ما يمكن نعته بالجشع والقساوة الأكثر قبحاً، ونشاطات النفاق والقسوة في الاستغلال الاستعماري في القرن التاسع عشر ، وهكذا اتسمت الكتابات التي نشرت مع التوسع البريطاني على العالم كله بسمته الاستعمارية لانها كتابات يحدوها

---

[1]- جوزيف , كونراد: قلب الظلام , ت: احمد خالد توفيق , المؤسسة العربية الحديثة للطباعة , القاهرة , 2000, ص55

[2]- جوزيف , كونراد: قلب الظلام , مصدر سابق , ص15

زهو واضح بعلو الجنس الابيض وتعالي سياسات الدول الاستعمارية على الشعوب المغلوبة ، كما انها كشفت نمط العلاقة البركماتية لهيمنة الشركات التجارية على موارد الطاقة في العالم الشرقي .

تاخذ صفة الظلام هيمنتها على مجمل الرواية من وجهة نظر عين المُستعمِر الذي يريد ان يكتشف عالم مستور بالنسبة لاوربا ، وهو ما حصل مع ترسيخ مفهوم الاكتشاف لاميركا كقارة جديدة على يد كريستوفر كولومبس ، اذ اعتقد انها امتدادا للهند وليست قارة جديدة ، علما ان الحافز الاول والاخير في رحلة كولومبس كانت من اجل الذهب لا غير ، ومن اجله استطاع اقناع الملوك بتمويل الرحلة [1]، لكن الهدف الاكثر اهمية من كل هذا العناء كان تحرير القدس بعد ان يكتسب مالا كافيا لشن الحملة الصليبية واسترجاعها [2]، وهذه الامال الكبيرة والطموحات الشخصية والعامة يحركها الهوس بالاكتشاف كقيمة عليا ، فعل الاكتشاف هنا يمنح الاخر صفة القوة والجسارة لفتح ابواب المجهول ، اذ يشير تودوروف الى ان الاكتشاف بالنسبة لكولومبس فعل لازم ، يجعل نشاطه مكتف بذاته دون ارتباطه بغاية مادية ، حيث يجد ان دوافع الكشف مرتبطة بثلاث عوامل هي : الاول: بشرى الثورة/ الثاني : قدسي/ الثالث : الابتهاج بالطبيعة، مع ذلك نجد انه يعيد انتاج الاخر (الشعوب الاصلية) بصفتهم اكلي لحوم بشر [3] ، مثلما حدث مع جوزيف كونراد الذي مارس نفس الدور لاعطاء صورة محددة المعالم للتاثير على الانا في تحديد هوية الاخر ومسخ دلالاته الانسانية واعطائه سمات وحشية قادرة على أدامة فعل الكراهة للاخر.

لقد أفادت خطة كولومبس من تراث طويل شمل كلاً من ماركو بولو (1295) وكتاب الروح القدس تأليف مارينو سانودو (1321) وأعمال البابابيوس الثاني

---

[1] - تزفيتان , تودوروف : فتح اميركا مسالة الاخر , ت: بشير السباعي , ط1, سينا للنشر, القاهرة , 1995, ص15

[2] - تزفيتان , تودوروف : فتح اميركا مسالة الاخر , مصدر سابق , ص17

[3] - تزفيتان , تودوروف : فتح اميركا مسالة الاخر , مصدر سابق , ص21

(1458-1465) وكتاب (التراتيل لكامبانوس)سنة (1471) تشكل سنة 1492 نقطة مهمة في تاريخ أوروبا والإسلام وأمريكا، وهي تشير إلى بلوغ عملية (الفتوحات) الإسبانية ذروتها مع الاستيلاء على غرناطة لينتهي بذلك الوجود السياسي الإسلامي في إسبانيا كما تشير إلى بداية حقبة جديدة من اكتشاف كولومبس لأميركا (1492) فقد خلق هذا الاكتشاف حافزاً للاستكشاف والتوسع والاستعمار بشكل جعله حدثاً عظيماً في عصر النهضة وبداية انطلاقة العصر الحديث، وهو اقرار بان الاكتشاف ينطوي على فعل استملاك الاخر لغويا، فقد طالبت الكنيسة ملكا اسبانيا والبرتغال الذين اوكلت لهما شؤون البر المكتشف حديثا بنشر المسيحية واصبح البنديكتيني برنارد بايل نائبا بابويا على اميركا منذ ستة 1544 .[1]

في الجانب الاخر أشيع مصطلح الادب ما بعد الكولنيالي او الاستعماري الذي يعني كل الكتابات التي نشأت في ظل الاتصال مع بريطانيا العظمى وانتجت انعكاسات ما بعد الاستعمار وتشمل الهجرات الجماعية القسرية وتجارة الرقيق واثر الاستعمار على المجتمعات الاصلية المُستعمرَة [2]، رغم ان كتابة ما بعد الاستعمار جاءت ردا على الإمبراطورية الاستعمارية، فان هذا يشير الى ان كلمة " ما بعد" تعني كل الادب الذي نشر بعد نهاية الحكم الاستعماري الرسمي وتراجع الإمبراطورية البريطانية من بعد الحرب العالمية الثانية واكتساب الاستقلال من قبل الغالبية العظمى من تلك المستعمرات ، تحت عنوان الدول النامية او العالم الثالث ، حيث نشأت صراعات جديدة على السلطة على اثر تركة الاستعمار ، ولا

---

[1] - يان,دوبراتشينسكي : اوربا المسيحية , ت: كبرو لحدو, ج3,ط1, دار الحصاد للطباعة والنشر, دمشق, سوريا, 2007, ص354

[2]– Adrian barlow; post–colonial literature, Cambridge University Press, First published 2001,p6

سيما في بلدان مثل الهند أو نيجيريا حيث تم جلب مجموعات معزولة أو متعارضة تقليديا داخل الحدود الوطنية التي أنشأها المستعمرون.

تثير ردود الادب المكتوب باللغة الانكليزية جملة اهتمامات تخص المجتمعات التي تتحدث اللغة الاستعمارية ، حيث نرى الروائي سلمان رشدي يقول " الكتابة تعود مرة اخرى الى المركز الامبراطوري " [1]، لتؤكد استمرار الاستعمار بوجه مختلف ومعقد ، اذ مازالت مجتمعات ما بعد الاستعمار تعاني من ذات المشاكل في الهيمنة على مقدرات شعوبها وتعمل على انتاج نخب جديدة داخل المجتمعات المستقلة، وغالبا ما تدعمها من قبل المؤسسات الاستعمارية الجديدة، كما تعمل على تطوير الانقسامات الداخلية على أساس التمييز العنصري والديني واللغوي، ومن ثم ادامة عدم المساواة في المعاملة المستمرة للشعوب الأصلية، غير ان هذه الممارسات وجدت لها اليات جديدة تعكس حضور الاستعمار بطريقة مختلفة ثقافيا ، حيث نجد المركز مهتما تماما بمنح جوائز ادبية لادباء الهامش الحضاري او الاستعماري مثل الكاتب العربي نجيب محفوظ ،كما منح النيجيري وول سوينكا جائزة نوبل للاداب كاول كاتب افريقي يمنح جائزة عالمية [2].

تعد الكتابة في مرحلة ما بعد الاستعمار احد مهمات البحث عن الهوية الثقافية / الشخصية والعرقية، والاعتقاد بأن الكتابة هي جزءا لا يتجزأ من تعريف الذات، والتركيز على إعادة البناء التاريخية للذات، فحين يعمل كل من ديريك والكوت، سلمان رشدي، جامايكا كينكيد، ضمن الحاضنة الغربية فانهم يصرون على الحفاظ على صلاتهم الاولى بالمكان الام اجتماعية و / أو السياسية، منذ ان قدم فانون خطابه قبل كل شيء كوسيلة لتولي الثقافة، والوعي الجمعي للفرنسيين، الذي يحدد السواد مع الشر والخطيئة، وفي محاولة للهروب من سمة السواد مع الشر، الرجل

---

[1]- Adrian barlow; post-colonial literature, p7

[2]- Bill ashcroft,Gareth Griffiths: the post-colonial studies reader, published by Routledge, Francis e-Library, 2003.p475

الاسود الذي يرتدي قناعا أبيض، أو يفكر في نفسه كموضوع للمشاركة العالمية في المجتمع الذي يدعو إلى المساواة ويفترض تجاوز المظهر الشخصي بما ينطوي عليه من قيم ثقافية، وخلق انفصام اساسي بين وعي الرجل الأسود وجسده[1]، وهنا يشير فانون الى اثر اللغة في تحييد البياض والسواد ، حيث يجمع البياض كل صفات الجمال والخير، لدرجة ان الله نفسه ابيض وله خدين ورديين، في حين يجمع السواد كل صفات الشر والظلام والقبح ، وتدخل هذه التصورات في اللاوعي الجمعي لتفرز صور ثابتة ومستمرة في التوالد [2].

مع تطورات الصراع الغربي في المنطقة، ظهر الاعلام على أنه تلك العملية التي تبدأ بالمعرفة بمعلومات معينه عن الواقع ومشكلاته، أي معلومات جديرة بالنشر والنقل، ثم تجميع المعلومات من مصادرها، نقلها، التعاطي معها وتحريرها، ثم نشرها وإطلاقها أو إرسالها عبر صحيفة أو وكالة أو إذاعة أو محطة تلفزة إلى طرف معني بها ومهتم بوثائقها، وهذا الامر يؤدي الى ارتباط الاعلام الحديث بالسياسة بشكل لصيق لدرجة ان التلفزة اليوم اصبحت تعني فقدان الارادة الذاتية [3]، كما هي مرتبطة بالشركات العالمية ذات النفوذ الاقتصادي الضخم مثل محطة (nbc) التي تعود ملكيتها الى " جنرال اليكترك" ، ومحطة (cbs) تعود الى شركة " ويستنغ هاوس " وهكذا يصبح جهاز التلفاز مثلا او الشاشة الصغيرة آلة من الات العنف الرمزي بتواطؤ ضمني مع من يقع عليه العنف ومع من يمارسه ايضا في اغلب الاحوال [4]، وهو ما نراه واضحا في حرب الاعلام المعاصر من تغيير مسارات

---

[1]– OTO QUAYSON; postcolonial literature, cambridge University Press, New york, 2011,p 1069

[2]– Frantz Fanon ; black skin white masks, Translated by Charles Lam Markmann, United Kingdom,2008,p22

[3] - بيير, بورديو : التلفاز ونفوذ الصحافة , ت: مها محمد , ط1, دار المامون للترجمة والنشر, بغداد , 2010, ص23

[4] - بيير, بورديو : التلفاز ونفوذ الصحافة , مصدر سابق , ص26

الحقيقة والتضليل واثارة الازمات الداخلية والخارجية ، حتى اصبح الاعلام هو السلاح الحقيقي لمن يريد الانتصار في هذه الحرب او تلك.

من هنا وجدنا ان مغامرات الصحفيين ومسروداتهم تؤدي دورا في كشف اخرية الغرب، خاصة اذا ما اخذنا شخصيات مهمة في عالم الصحافة مثل روبرت فسك الذي قدم لنا خلاصة حياته مع الشرق الاوسط في كتاب (الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة) باجزائه الثلاث، ليقدم لنا صورة عن الشرق في ظل ازمات وجودية قاهرة حيث "صرف كامل أيامه المهنية كمراسل حربي، في بلغاست وسراييفو، وبيروت، وبغداد، يشاهد الناس يحترقون، ضمن تلك الحدود. ليدرك بأن غزو أميركا للعراق لم يكن من أجل أسلحة الدمار الشامل عند صدام حسين، تلك التي دمرت منذ زمن طويل بل من أجل تغيير خريطة الشرق الأوسط، على غرار ما فعل الجيل الذي كان والده في عداده، منذ أكثر من ثمانين سنة" [1]، وهو اقرار صريح بلعبة الغرب السياسية تجاه الاخر الشرقي الاسلامي تحديدا ، سواء تلك الجماعات الارهابية او الدول الحليفة والمتورطة في تنفيذ الغايات الكبرى للغرب .

لا يمكن التغاضي عن اهمية الموقع الاستراتيجي للعراق كبلد غني بكل شيء امام الهيمنة الامبريالية للغرب، فما تحدثه الفلسفات الغربية من تحولات تاريخية بصفتها انساقا كبرى في الفكر الخلاق تضفي على تلك التحولات أيديولوجيات بصفتها انساقا صغرى تعيش على ضفاف الفلسفات والانساق الكبرى [2]، وتستغل ممكناتها برغماتياً ، وتبدو الغاية النفعية للدول الكبرى المسيطرة على التقانة والمعرفة محور تلك التحولات في الشرق ، وقد شكل العراق كمجتمع متطلع للثقافة والتطور السريع محط انظار القوى المغايرة ، اذ اشارت الصحفية النرويجية هوسنا زيرشتاد

---

[1] - روبرت , فسك: الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة , ت: عاطف المولى واخرون , المجلد الاول , ط1, شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, بيروت , 2006, ص27

[2] - انطوني , دي كرسبني : اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة , ت: نصار عبد الله, القراءة للجميع , مكتبة الاسرة , القاهرة , 1996, ص110

بكتابها عن بغداد " في الثمانينات كان الشعب العراقي من افضل الشعوب المثقفة والمتعلمة وسط العالم العربي ، اما الان ، فقد انهار النظام التعليمي وهناك خمسة ملايين من الشعب العراقي ترك البلد، نصفهم يحملون تعليما عاليا" [1]، وذلك بسبب الايديلوجيات التي تتقاطع احيانا مع مجريات الفلسفات الاوربية المهيمنة على مجمل التحولات الفكرية نهايات القرن المنصرم وبالذات مع سقوط المعسكر الاشتراكي عام 1989 وما تلاه من طروحات نهاية التاريخ وصراع الحضارات السيء الصيت، أي اننا ضمن إطار ايديلوجيا المهزوم .

على المستوى الاسرائيلي فاننا امام غموض عميق لان الصراع العربي الاسرائيلي مازال يرسخ شعور الخوف من الاطلاع على الادبيات الاسرائيلية والفنون ايضا، لذا نجد ان الدراسات التي تناولت قضية الاخر بينهما كانت قليلة جدا، فقد تناول الباحث عمرو عبد العلي في كتابه الموسوم " الانا والاخر / الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الاسرائيلي المعاصر " صورة الاخر بشكل تفصيلي اتاح لي الدخول الى واقع الافتراضات المعرفية لظهور تلك الصورة في الادب الاسرائيلي، ففي الفترة الاولى لظهور الصهاينة في فلسطين كانت صورة الانبهار والتشبه بالانسان العربي الفلسطيني واضحة المعالم في الادب العبري على مستوى الملبس والسلوكيات كما في ادب "بوريس شتس" لدرجة استعراب يهود فلسطين [2]، كما حاول العديد من الكتاب اثبات ان عرب فلسطين كانوا في الاصل يهودا غيرتهم الظروف التاريخية والحروب والاحتواء الاسلامي كما لدى " افراهام .ن.فولك" في مقال بعنوان " اصل عرب فلسطين" ولكن الصراع العربي الصهيوني أكد حجم الفارق الكبير لدى الكتاب اليهود واعترفوا بحقيقة العداء وانعكس ذلك

---

[1] - هوسنا, زيرشتاد : مائة يوم ويوم في بغداد, ت: صلاح السعيد, ط1, المركز الثقافي للطباعة والنشر , بابل , العراق , 2014, ص115

[2] - علام, عمرو عبد العلي : الانا والاخر / الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الاسرائيلي المعاصر, ط1, دار العلوم للنشر والتوزيع , القاهرة , مصر, 2005, ص23

في قصص سيميلانسكي والكاتب موشي ستاف وغيرهم ، حيث ظهر العربي بصفات الحيوان والتخلف والفقر والقسوة وغيرها من الامور التقليدية في الذهنية الشعبية لليهود .

اما فيما يخص مرحلة ما بعد 1948 فقد تحولت اسرائيل الى دولة لها كيان وجيش ومؤسسات لذلك كان السرد الاسرائيلي يحمل صورة العربي المشوهة والارهابية، حيث يصفها الكاتب "بن عيزر " بانها مرحلة التخبط الاخلاقي في الادب الاسرائيلي[1] ، اما بعد مرحلة 1967 فقد كان العربي بالنسبة الى اليهود بمثابة الكابوس الوجودي كما في رواية النمل للكاتب " اسحاق اورباز" ، اما التطور الاهم فقد ظهر بعد حرب 1973 التي وضعت العرب في مكان الند القوي لاسرائيل حيث وجدنا صورة العربي اكثر حداثة وقوة وتبدو الشخصية العربية شخصية مثقفة وحضارية لكنها معادية وخطيرة بالنسبة لاسرائيل وذلك من اجل اظهار الجانب الانساني الاسرائيلي .

السردية العربية :

تعمل السردية العربية على معرفة الاخر من خلال قراءة الذات وتذويب حركة التوتر بين الانا والاخر، اذ عملت البعثات الدراسية مع بداية عصر النهضة العربية على كشف اللاوعي ونمط رؤية الاخر من وجهة نظر عربية ، وقد انعكس ذلك التمثيل في الرواية العربية منذ عام 1938 ، اي مع رواية توفيق الحكيم (عصفور من الشرق) حيث تنزع الاشكالية الحضارية الى ان تتلبس طابعا جنسيا صريحا، فالبطل الروائي الشرقي سليل مجتمع يعاني صدمة حضارية او ما يمكن تسميته جرحا نرجسيا انثربولوجيا ، هو جرح اكتشاف الذات في مرآة الغرب [2]، كما

---

[1] - علام, عمرو عبد العلي : الانا والاخر/ الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الاسرائيلي المعاصر, مصدر سابق, ص31

[2]- طرابيشي, جورج: صورة الاخرى في الرواية العربية من نقد الاخر الى نقد الذات , ضمن بحوث /صورة الاخر العربي ناظرا ومنظورا اليه , ط1, مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 1999, ص798

حدث مع مصطفى سعيد في رواية موسم الهجرة الى الشمال، لانه في حقيقة الامر كان يرى الغرب كفكرة تمارس حضورها على وجوده الذاتي ، لحظة التواصل ، فكانما يستعيد وثبته الذكورية في الحرب.

السرود الادبية التي تحدثت عن علاقة الشرق بالغرب مع نهوض الرواية العربية منتصف القرن المنصرم، استخدمت ذات النمط الغربي في الكتابة والاسلوب والتقنيات السردية دون النظر الى الشكل الذي يؤكد منطلقات الحكي العربي ، وهو ما استوعبه الروائي العراقي علي بدر في روايته (الجريمة الفن وقاموس بغداد) حيث تبدأ أحداث الرواية في القرن السادس الهجري، مع وصول الرسالة الثالثة والخمسين المفقودة من رسائل أخوان الصفا على ظهر السفينة مراد مرسومة بريشة الرسام يحيى الواسطي، فينشب نزاع بين رؤساء الطائفة الخواجية، وبعد وشاية تصل إلى القضاة، يحكم الوزير العباسي بالموت على رئيس الطائفة عماد الدين بن أبي ريحانة النقاش، وهو أحد أعضاء مثلث الحكمة الذي يتربع على رئاسة الطائفة مع الخواجة عباس والخواجة سنان، غير أن الخواجة عباس يتهم الخواجة سنان بهذه الوشاية فيرسل أحد أعضاء الطائفة ومن المشهورين بالولاء له وهو الخواجة نصر الدين لاغتيال الخواجة سنان، وفي طريقه إلى تنفيذ هذه الجريمة يستعيد الخواجة نصر الدين قصة الطائفة الخواجية، وهي طائفة سرية نشأت في السنوات الأخيرة من العصر العباسي، تؤمن بالفن والحكمة الأزلية وتستوحي أفكارها من السلسلة الذهبية للفيثاغوريين الإسلاميين مثل الفارابي وجابر بن حيان وثابت بن قرة، وتعتمد في نظامها على "قاموس بغداد" وهو كتاب سري موضوع في صندوقٍ من السفرجل المزخّرف بالذهب والفضّة، فهذا القاموس هو خلاصة ما تعلمه الاعضاء من صقل النفوس المتقشفة ، والارادة الحرة ، وترك اللواذ المستمر بالذات ،والتخلي عن النزعة الفردية التي ولدت على الدوام قوة هدامة للباطن[1].

[1]- علي , بدر: الجريمة الفن وقاموس بغداد: ط1, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت , 2010, ص17

تستعيد هذه الرواية قصّة المدارس والحركات السريّة في بغداد العبّاسيّة، مكتوبة بأسلوب يحاكي فنّ المنمنمات والزخرفة العربيّة الإسلاميّ، وهو ما يشكل اعادة انتاج هوية سردية عربية تجاه النسق الغربي المهيمن للرواية الحديثة التي بدات تستغل كل الادوات المتاحة للكاتب والعودة الى الوثائق والمرويات، بصفتها خطابات ثقافية موجهة للاخر، واتاحة الفرصة لمعرفة الفارق الثقافي الاسلامي العربي الذي يعتمد الوجدان الجمعي ويرفض النزعة الفردية بصفتها دوامة مرضية خطيرة على سلامة التنظيم [1]، ومن هنا يمكن ملاحظة التاكيد على قضية الفردانية منذ البدأ التي تعد نزعة شيطانية يجب التخلص منها ، وهو الرد الذي تقترحه الرواية لتوضيح اشكالية الفارق الحضاري مع الاخر .

في عالم تحيط به شبكة الانترنيت والاتصالات السريعة يقدم لنا الروائي جابر خليفة جابر رواية (مخيم المواركة) في محاولة لاجراء تواصل مع الاخر بطريقة مختلفة ، حيث تصل الرواية عبر النت الى الكاتب من شخص اسمه عمار اشبيلو ، نقلها له عن اسلافه قبل اربعة قرون مضت وانتقلت من شخص الى اخر حتى وصلت الى الموريسكي جابر خليفة كاتب الرواية ، و(الموريسكي) هو الاسم الذي اطلقه المسيحيون على العرب في الاندلس ايام انهيار الدولة الاسلامية هناك ، اذ يشير الراوي الى ان (عمار اشبيلو اعتقد انني من اصول موريسكية جاءت الى الخليج العربي والبصرة مع سفن البرتغال ايام الاحتلال الاسباني للبرتغال ، قال ان الالاف من المواركة فعلوا هكذا ، وابحروا متخفين تحت قناع النصرانية الى الهند والساحل الافريقي وقد اكتشف الباحثون ان المقابر العديدة من القرى في اميركا اللاتينية تتجه الى القبلة)[2]، والحقيقة ان الفعل التاريخي يستعيد نشاطه عبر ممارسة ذات الفعل الطارد للاخر .

---

[1]- علي , بدر: الجريمة الفن وقاموس بغداد, مصدر سابق , ص15

[2]- جابر, خليفة جابر: مخيم المواركة , ط1, دار فضاءات للنشر والتوزيع , عمان , الاردن , 2012, ص11-12

في رواية جابر خليفة يستعمل تفصيص السرد لمواكبة فعل الاتصال عبر النت ، فهناك اكثر من زمن يشترك في انتاج النص المسرود ، حيث يكون فعل السرد سريعا ومقتضبا وقصيرا ليتمثل حالة التواصل المؤقت والمقطوع احيانا ، الا ان التواصل يكشف عن ملامح الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس وطبيعة ثقافتهم وممارساتهم اليومية مثل الحمامات العمومية التي تعد احد علامات الحياة العربية " كريم كاسياس لم يكن في قرطبة عام 1567 حين اصدر ملك اسبانيا فيليب الثاني قراره باغلاق حمامات المواركة ، لانهم كما تقول الكنيسة المقدسة يستخدمونها للوضوء والصلاة المحمدية سرا ، في قشتالة وغيرها من مماليك ايبريا لا احد يبني الحمامات العمومية او يرتادها غير الموريسكيين ، كان الشماليون كلما تراكمت القذارة واضطروا للاستحمام فان مياه البرك والجداول تكفي ، لم يعرفوا الصابون ولا المناشف المنسوجة من القطن ولا الدلاكات ، هذا فقط ، من شؤون المواركة "[1].

ليس هذا المشهد بالغريب عن واقع الحياة الغربية قبل الفتح الاسلامي اذ ان الشماليين كانوا في اسوء حالاتهم من تدمير للاقتصاد وظلم العامة من قبل الحكام لدرجة ان الناس تحولوا الى عصابات تعيش في الغابات ليتمكنوا من الخلاص بارواحهم [2]، وهو ما مكن المسلمين من فتح اسبانيا ، ثم دارت الدائرة فوقع المسلمون بنفس الخطأ التاريخي واصبحت السلطة الاسلامية عدوة للناس لدرجة ان اشبيلية تعرضت لنفس الدور كما يذكر المؤرخ دوزي " تمرد سكان العاصمة على "القاسم الحمودي" واخرجوه من بلدهم فالتمس له ملجأ باشبيلية التي كان بها ولداه مع حامية من البربر بقيادة محمد بن زبري من قبيلة ايفرن ثم عمد بعد ذلك الى اصدار امره الى الاشبيليين باخلاء الف بيت لتنزل بها قواته ، فاشتد استياء اهل

---

[1]- جابر, خليفة جابر: مخيم المواركة , مصدر سابق , ص28

[2]- رينهرت , دوزي : المسلمون في الاندلس , ت: حسن حبشي , ج1, الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , 1995, ص30

اشبيلية ، لا سيما ان قواته كانوا معروفين بانهم من كبار الصوص" [1]، لذا وجد الباحث ان تردي صورة الاخر، لكلا الطرفين ، يتشبث بها اللاوعي الجمعي ، ويتبادل الادوار في مراحل تاريخية متقاربة او متباعدة ، لتسجل مثاباتها المتعلقة بالماضي وتشعر بنزوعها العدواني في كل مرة يحدث ان يلتقي الشرق بالغرب ، على مستوى الواقع المادي او السرد الحكائي ، وبناء متخيل جذري لا يمكن الفصام عنه .

تستعيد الهوية الجنسية في اتون معركة محتدمة مع الاخر الغربي – العربي تحديدا، عبر سرديات نسوية ساهمت في كشف عقد التابو الديني والاجتماعي في محاولة لاكتشاف هوية ذاتية ممسوخة تعاني من فقدان التوازن تجاه الاخر مثلما حدث في رواية "قطعة من اوربا" للروائية رضوى عاشور ، حيث شكل تانيث ابي الهول لتشرشل القائد الانكليزي المعروف منطلق مركزي لاستشراف منطق الفارق اللغوي والحضاري للهيمنة الغربية وتبعات ذلك على مرويات الاحداث وتنقلات المكان من فرنسا الى مصر وغيرها من الاماكن التي تشيع روح الهوية لكلا الطرفين – غرب – شرق ، كما لا يمكن تناسي الاعمال المهمة التي قدمتها روائيات من مختلف الاقطار العربية مثل رجاء الصائغ/ بنات الرياض ، حنان عاشور / انها لندن يا عزيزي ، احلام مستغانمي / ذاكرة الجسد ، واسماء روائية كثيرة قدمت لنا انماطا مختلفة للعلاقة مع الاخر الجنساني يشتبك داخل متونها جدل الهوية والمكان مع الاخر الغربي تحديدا ، بما يفضي الى تنوع الاداء والاسلوب والخطاب الثقافي لطرح الاشكالية برمتها .

تمثيلات الاخر في السينما :

يقودنا الاسترسال في تتبع مجالات الاخر الى تناول اهم فن شارك في استيعاب سياسة الاخر وتمثيلاته، الا وهو فن السينما ، حيث قدمت السينما الغربية منذ

---

[1]- رينهرت , دوزي : المسلمون في الاندلس , ت: حسن حبشي , ج3, الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , 1995, ص9

ظهورها انشغالا مبكرا بالهيمنة على الحواس البشرية ، واهمها العين التي ترشح مفاهيمنا الفكرية والعقلية لتحولها الى صورة تتحرك وفق منهج مقنن ومحسوب ، كما ساهم انتشار الفلم جماهيريا عبر دور العرض ووسائل الاتصال الى جعله المحرك الاول لمتغيرات اجتماعية وسياسية فاقت دور الاداب والدراسة الاكاديمية والتعليم والتربية وغيرها من مرافق حيوية لبناء اي مجتمع معاصر اليوم، لدرجة انه اصبح حاضنة استثنائية للفكر وناقلا بديلا لاداب الشعوب وتقاليدها وثقافاتها ، حيث كرست السينما الاوربية والاميركية بشكل خاص صورة الاخر العربي المسلم بنمط سردي وهوياتي محدد المعالم سياسي التوجه.

لقد عرضت السينما الغربية قصة الف ليلة وليلة بكثافة مستفيضة لما لهذه الليالي من قوة في التاثير على المشاهد الغربي اولا ، واحاطة تلك الليالي بالشخصية العربية المخيالية التي تشكلت عبر الحكي العربي كهوية لصناعة العجائبي والغريب في فضاء الكتابة الادبية ، بحيث تمركزت في الذهنية الغربية كصورة لثقافة العرب وتعبير عن خصائص الانسان العربي المسلم، حيث قدم فلم " الليالي العربية " للمخرج جورج ميليه عام 1905 الشخصية العربية على انها شخصية بشعة تركب الجمل وتحمل خنجرا يقتل به ليسطو على قافلة ويغتصب امرأة غيره " ويراد من هذا الوصف تحميل هذه الشخصية المساوىء، لخلق فجوة المفارقة مع الاخر كمعيار جمالي اخلاقي في مقابل الشخصية الغربية التي تتسم بالتعقل والحكمة واللياقة [1]، فالافلام الغربية تمثل القيم والتقاليد الثقافية التي تعني المجتمعات الغربية تماما امام مجتمعات شرقية خاضعة للرقابة الصارمة اجتماعيا وسياسيا ، حيث يبدو الفارق واضحا لحظة تبني تلك التقاليد والقيم الغريبة على القاعدة العامة للتلقي .

لاكثر من ثلاثمائة سنة ، بدأت الف ليلة وليلة باختراق الوعي الاوربي، لتمارس حضورها في صناعة الصورة النمطية عن الشخصية العربية ، كما انها العمل الوحيد

---

[1]- الصحن , صالح : الف ليلة وليلة في السينما والتلفزيون عند الغرب , ط1, دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع , بغداد , العراق , 2013, ص184

الذي استقبل بشعبية منقطعة النظير في العالم كله ، لدرجة ان الجمعية العامة لليونسكو صوتت لتشمل الف ليلة وليلة بقائمة الأحداث التذكارية، ليتم الاحتفال به في عام 2004، الذيصادف الذكرى ثلاثمائة من أول ترجمة لالف ليلة وليلة [1]، والحقيقة فان هذا الاثر الادبي الكبير كان هو نقطة اللقاء الاهم في مفاصل الصورة السينمائية مع الشرق، لما له من قدرة على الادهاش والمتعة التي حرضت المخرجين في السينما لتناوله بالاضافة الى كونه يشكل مادة ثقافية وخزين معرفي للاطلالة على مجمل ثقافات العالم الشرقي .

اثارت رواية شيفرة دافنشي للروائي دان براون 2003 جدلا في العالم الغربي، مع الكنيسة الكاثوليكية التي وصفت محتويات الكتاب بانها " اكاذيب مخزية " اذ حاربت الكنيسة رواية دافنشي، فقد واجه الكتاب والفيلم للمخرج رون هوارد 2006،فرض حظر فوري، عبر بلدان مختلفة، بما في ذلك البلدان العربية والاسلامية في مصر والأردن وسوريا وإيران ولبنان، حيث اشار الأمين العام لمجلس الكنائس الأردنية، رئيس أساقفة حنا نور، وأوضح " ان الفلم يضر بالرموز الدينية المسيحية وتدعو المسلم الى التساؤل والشك بصحة ما مكتوب في الانجيل والقران عن شخصية المسيح" [2]، وهذا الاقرار يشير الى حرص الاخر على اخفاء الخطابات الموجهة للعربي المسلم تحديدا .

تمارس الافلام التي تتعرض للاعراف والتقاليد الاجتماعية والدينية ، حتى وان كانت بعيدة عن الاسلام كدين ، صداما مستمرا للمستقر في الوجدان الجمعي العام ، وقد اشتركت بذلك عروض عربية مثل فلم عمارة يعقوبيان 2006، وفلم

---

[1]– Ulrich Marzolph and Richard van Leeuwen; The Arabian Nights, Library of Congress Cataloging–in–Publication Data, Santa Barbara, California,2004, xxiii

[2]– Dina Mansour; Egyptian Film Censorship , Safeguarding Society, Upholding Taboos, Alphaville: Journal of Film and Screen Media, Issue 4, Winter 2012

ارهاب وكباب، كما عالجت بعض الافلام مشكلة الارهاب ، فاعطت نموذجا قبيحا لصورة التيارات الاسلامية المتشددة داخل مصر وخارجها، وساهمت شخصيات معروفة مثل الفنان عادل امام في منح شخصية الاسلامي داخل الفلم صورة كاركتورية مضحكة انسجمت مع توجهات الدولة وغذت المتلقي البسيط بثقافة معارضة للاسلام السياسي في المجتمع والعائلة بشكل عام ، فكانت امتدادا لرؤية الاخر للذات العربية الاسلامية وانسجاما مع خطاب العولمة وسياسة القطب الواحد الاميركي ، اما فلم (هلو اميركا) لنادر جلال 2000 فانه يصور الاصوليين على انهم مجموعة فاسدة ومنافقة ، حيث نرى الاصوليين وهو يسمون اميركا بانها الشيطان الاكبر لانها ارض الجريمة والفساد من خلال تجربة رجل ساذج يحصل على فرصة عمل في اميركا عن طريق رجل اسمه " بخيت " وعاش تجربة سلبية هناك في الولايات المتحدة وقرر العودة الى مصر في محاولة لاظهار الفساد الاميركي وصورة اللامبالاة تجاه الواقع العربي الفلسطيني تحديدا .

يكشف لنا تاريخ السينما منذ البداية الصورة النمطية للمرأة العربية ، تلك المرأة المذللة والمسلوبة الارادة، وهذه الصورة كونتها الاحتكاكات الاستشراقية في المجتمعات العربية في القرنين 18-19 ، حيث وضعت المرأة العربية في قالب الجنسانية على اثر انهمام الفنانين والكتّاب بترحيل صورة المراة العربية الى الغرب بصيغة الجسد الشبقي المملوك للرجل تحديدا لتكون مقبولة في المجتمع الغربي، ومن ثم اصبحت جزءا من الثقافة الشعبية للغرب، فالمرأة لا تتجاوز صفة الحريم والراقصة الخليعة مع حجاب خفيف جدا يظهر تفاصيل جسد يتلوى في قاعات الرقص وليالي السمر والمجون واسواق النخاسة ، اما في الطبعات الجديدة لافلام ديزني " حول العالم في ثمانين يوما "2004 على سبيل المثال، لارنولد شوارزنيغر(Arnold Schwarzenegger) اذ يصور الامير هابي وهو شيخ من الشرق الاوسط مع مائة من الزوجات والجواري ، وهذه الصورة تعد استمرارا

لإظهار المرأة العربية بصفتها مجرد رقيق لممارسة الجنس ، على الرغم من تبدل ترحيل تلك الصورة الى الارهاب ما بعد 11 سبتمبر [1].

اخذ شعار " الحرب على الارهاب " مساحة واسعة من الاهتمام النظري على مستوى الفكر من اجل فهم العلاقة مع الاخر اولا وتحديد قوته ثانيا ، حيث شكلت احداث تفجير البرجين مادة خصبة لهوليود التي تعد الماكنة الاعلامية والفلمية الاخطر في العالم ، فانتجت الكثير من الافلام التي تناولت الجماعات الارهابية وصورة المسلم تحديدا مثل فلم اميركي في عصر الارهاب الذي يطرح الروح الهستيرية التي اصابت اميركا كحكومة وشعب ، وسجلت الحرب ضد العراق سينمائيا وتعذيب سجناء ابي غريب ، وغيرها من الامور التي عالجت الواقع بالمخيلة ، والحقيقة بالاكاذيب ، كل ذلك لمواجهة سؤال واحد هو " من نحن امام الاخر " تلك الصورة اصبحت الان مشوشة ، وتثير ارتياب الاجهزة الامنية لدرجة ان الحكومة الاميركية قامت بالتنصت على الهواتف النقالة ، وفي نفس الوقت عملت على اداء المخالفات الدستورية وخاصة ضد اقطاب الارهاب العالمي في افغانستان والعراق [2].

في فلم المملكة " The Kingdom " عام 2007من إخراجبيتربيرغوبطولةجيمي فوكسوكريسكوبر،جنيفرغارنر،

وجيسونبيتمان،وأشرفبرهوم،معكايلتشاندلر،جيريميبيفن،ريتشاردجينكينز،وعليسليما ن، تبدو احداث الفلم مستوحاة منتفجيرات مجمعالرياض يوم 12مايو 2003في المملكةالعربية السعودية، والقصةتتابع فريقامنعملاء مكتب التحقيقات الفيدراليالذين يحققون فيتفجيرمنشأةالعمال الأجانبفي المملكة العربيةالسعودية،

---

[1]– Leila Nicolas Rahbani; Women in Arab media, Stanford University– California, 2010, p8

[2]–Alex Evans, “Superman Is the Faultline,” in Birkenstein, Froula, and Randell, p146

ومن خلاله نكتشف قوة الغرب الذي لا يخفى عليه اي شيء ، كما ان الفلم يرسخ مفهوم القوة المطلقة لاميركا بصفتها المنقذ الدائم من الشر المطلق الذي يتخفى باشكال مختلفة بزي اسلامي وارهابي لا يمكن سوى ان تكون ضده ، متعاطفا مع نجوم السينما الاميركية ومنسجما مع تطلعات كل شخص في الفلم ضد الارهابي " ابو غازي " جد العائلة السعودية في نهاية الفلم .

تتعامل هوليود مع كيانات العالم الثالث كآخر سلبي ، بحيث يشترك الفلم ووسائل الاعلام في تبني خطابات استعمارية متعالية على الشعوب الاسلامية [1]، اذ تم التركيز على سوء المعاملة الأمريكية للسجناء في سجن أبو غريب وفق ما يسمى بالتغطية الانتقائية ، فالمتعاطفين مع الولايات المتحدة عندما تم نشر صور تعذيب السجناء في وسائل الإعلام، وتم التعرف على العنف الاستعماري الصريح من هذه الأفعال من قبل الجنود الأمريكيين، عولجت التغطية لغويا بصفتها سهوا لغويا لكلمة "التعذيب" والتي حلت محلها كلمات مثل "مخالفات"، "سوء المعاملة"، "الاعتداء المزعوم"، أو" الإساءة " .

هذا المنطق يسير جنبا إلى جنب مع تصريحات قادة الولايات المتحدة وضباط الجيش البارزين فيما يتعلق بمثل هذه الأعمال العنيفة، اذ استخدمت وسائل الإعلام تكتيكا اخر لوضع تقنيات التعذيب كجزء من مجموعة من التقنيات ضمن أشياء أخرى كثيرة تستخدم لإجبار السجناء للكشف عن معلومات مهمة لأمن الدولة و "الحرب على الإرهاب "العالمية ،وفي ضوء ذلك، نجد انهم يستخدمون كلمات بديلة للتعبير عن خطابات باسم الامن "الاورو اميركي" وتوجيه الراي العالمي نحو صور المراة المحجبة السوداء المسلمة، كما لو انها وحش سيعمل على قتل الناس جميعا .

---

[1]– Michelle Aguayo; Deconstructing Discourses in Hollywood, Concordia University, Canada, 2009, p44

اثناء الحرب على العراق 2003 استعان الجيش الاميركي بهوليود لتصوير مهمة انقاذ جندي اميركي في مستشفى الناصرية ، ذلك الحادث الشهير لانقاذ الجندي " لينش " الذي تحول الى فلم تلفزيوني لصالح شبكة (NBC) [1]، وهو ما جعل صناع الافلام ما بعد الحرب الباردة يوصفون بانهم "أعظم جيل " قدم دورة من افلام الحرب أنتجت في أواخر 1990 - 2003، كما أشّر صعود النزعة العسكرية الأمريكية الجديدة، والعودة إلى ما يشبه صنع أسطورة اميركا عام 1940، رغم أن حرب العراق قد دفعت الكثير من الردود الحاسمة من صانعي الأفلام لتجنب هذا التوجه الحربي للافلام بسبب الرفض الشعبي الكبير لفكرة الحرب اصلا ، لسبب جوهري هو ان افلام الحرب تعزز نرجسية الادارة الاميركية ، مع ملاحظة ان المجتمع بدأ يلمس تناقضات جسيمة بين الديمقراطية وحقوق الانسان التي تبناها الغرب وبين ممارسة السياسة الخارجية الاميركية وموقفها من الاخر.

قبل سنوات عديدة من أحداث 11 سبتمبر كان الإرهاب بالفعل محور صناعة الأفلام في هوليوود، كما ساهم التفكير ضمن الثقافة الشعبية لزيادة مستويات العنف السياسي في المجتمع الأميركي، في السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وعبر العالم ايضا، حيث انتشرت أعمال إرهابية ، من حيث العدد، والقوة التدميرية منذ 1960، وقد امتدت هذه المناطق بشكل متنوع، مثل شمال أمريكا والشرق الأوسط وآسيا، وأمريكا اللاتينية، حيث أصبح الإرهاب مصدرا حيويا للسرديات والأوهام والخرافات التي تسهم كثيرا في صناعة سينما مسلية، والصراع المفترض بين الخير والشر، وفي الولايات المتحدة تبدو ثقافة السلاح والعنف المدني ، وحرب ازدهار الاقتصاد، وفي ذات الوقت تتخلل المشهد هجمات القاعدة على مركز التجارة واستفزاز وزارة الدفاع الأمريكية التي تزيد من سحر الجمهور واندهاشهم لانتظار رد فعل عسكري فخم ، ثم تصاعد الخوف من استخدام اسلحة الدمار

---

[1]– Philip Hammond; Screening the War on Terror, Concordia University, Hollywood, 2004, p3

الشامل ، كل هذه الاحداث تشيع في سينما الحرب ضد الارهاب ،في حقيقة الامر ضد الشرق المسلم تحديدا [1].

ان مفهوم (العربية) اصبح مرادفا لما يسمى (الاصولية الاسلامية) في الثقافة المعاصرة، وما قدمته الافلام الغربية ما بعد 11 سبتمبر 2001 والحرب على العراق والصراع الفلسطيني الاسرائيلي ساعد في انتاج وتقوية هذا الربط ، بما يفضي الى تحديد الاصولية بصفتها العدو الاساسي للغرب ، وهو ما هيأ صاموئيل هنتنكتون لاستحضار ثنائية (الشرق / غرب) واثارة الاشتباك بين ثقافتين ، متناس ان الربط بين الاسلام والشرق الاوسط يؤدي الى اختزال مؤسطر مثلما نختزل الغرب بالمسيحية ونلغي كل الثقافات المجاورة، وعلى هذا التصور وجد الباحث ان هوليود كانت الماكنة الكبرى لصناعة اسطورة اميركا القوية التي لا تهزم ، وعلى مدى عقدين ونصف تقريبا مثّل العربي كأسلامي متشدد وقاتل مجرم لا يرحم ، ولا يملك اي سمات انسانية ، في حين تقف اميركا كممثل للنزعة الاخلاقية والخير المطلق الذي يحمل لواء نهاية التاريخ .

درس التمثيل العربي في السينما الاميركية من قبل جاك شاهين ، حيث كتب عن الصورة النمطية للعرب والمسلمين في هوليود والتلفزيون الاميركي ، كما درس سردار ديفيز القوة العظمى لاميركا في التلفزيون الاميركي عام 2003 تحت تاثير طروحات ادورد سعيد التي وضعت المشكلة الاستشراقية في مختبر التحليل والفحص الجدلي ، وساهم ذلك في ابراز منطق الهيمنة الاميركية على الشرق بصفتهم مجتمعات غير مؤهلة لتمثيل ذاتها [2] ، وهذا الراي الاستعماري بقي محافظا على استمراره حتى اللحظة ، كما نستطيع استكشاف الاثار السياسية والاقتصادية والقانونية

---

[1]– Carl Boggs and Tom Pollard; Hollywood and the Spectacle of Terrorism, New Political Science,, Volume 28, Number 3, September 2006,

[2]–Lina Khatib; Nationalism and Otherness, european journal of cultural, Vol 9(1) 63–80; 1367–5494, London, Thousand Oaks ca,2006, p65

والاجتماعية وانعكاسها على صناعة آليات ارهابية جديدة في كل مرحلة من مراحل التحولات التاريخية المعاصرة ، اذ يمكن ملاحظة ان سمات الارهابي تغيرت بعد 1990 اي بعد نهاية الحرب الباردة ، واستبدال المعسكر الشوعي بعصابات اسلامية متطرفة، حولت الانتباه الى نموذج جديد من اعداء الديمقراطية او ما يسمى بنهاية التاريخ البشري .